بسم الله الرحمن الرحيم

خُطُورَةُ الْجَرْأَةِ عَلَىٰ الثَّوَابِتِ فِي صُنْعِ الْإِرْهَابِ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ وَأَجَلَّ مِنَّةٍ بِعْثَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِعَقِيدَةٍ صَافِيَةٍ، تُحَقِّقُ الصَّلَاحَ وَالْخَيْرَ، وَتَدْرَأُ الشَّقَاءَ وَالشَّرَّ، بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ رَكَائِزِ الْعَدَالَةِ وَالْأُخُوَّةِ، وَمِنْ دَعَائِمِ الْمُسَاوَاةِ وَالسَّلَامِ، وَبِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ تُطَهِّرُ النُّفُوسَ، وَتُرَبِّي الضَّمَائِرَ عَلَىٰ أَنْبَلِ الصِّفَاتِ، وَأَكْرَمِ الْفَضَائِلِ وَأَعْلَىٰ الْمُثُلِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْعَقِيدَةَ الَّتِي أَرْسَىٰ النَّبِيُّ ﷺ قَوَاعِدَهَا، وَثَبَّتَ أُصُولَهَا هِيَ مَصْدَرُ الْخَيْرَاتِ، وَمَنْبَعُ السَّعَادَةِ وَالْمَسَرَّاتِ، وَذَلِكَ لِمَنْ رَعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَاتَّبَعَ هُدَاهَا، وَالْتَزَمَ بِمُقْتَضَاهَا. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.

هِيَ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ، يَانِعَةُ الثِّمَارِ، دَائِمَةُ الْأُكُلِ، مَهْمَا امْتَدَّ الزَّمَانُ وَاحْتَدَّ الصِّرَاعُ، وَعَسُرَ الطَّرِيقُ، وَعَظُمَتِ الْخُطُوبُ، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

الْعَقِيدَةُ الْإِيمَانِيَّةُ ذَخِيرَةُ الْخَيْرِ لِبَنِي الْإِنْسَانِ، بِدُونِهَا تَلْتَوِي عَلَيْهِمُ السُّبُلُ، وَتَكْتَنِفُهُمُ الْهَوَاجِسُ، وَيَسْتَبِدُّ بِهِمُ الْقَلَقُ، وَيَتِيهُونَ فِي غِمَارِ الْحَيْرَةِ وَالضَّيَاعِ وَالْخَسَارِ، ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾.

الْعَقِيدَةُ الْإِيمَانِيَّةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ رَافِدٌ دَائِمٌ، وَمَدَدٌ قَوِيٌّ لِتَيَّارِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَحَاجِزٌ مَنِيعٌ لِصَدِّ دَوَاعِي الشَّرِّ وَطُغْيَانِهِ الْمُدَمِّرِ، صَاحِبُهَا لَا يَزَالُ عَلَىٰ مَسْلَكٍ قَوِيمٍ، وَمَنْهَجٍ مُسْتَقِيمٍ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ جَوَاذِبُ الْأَهْوَاءِ، أَوْ تَسْتَبِدُّ بِهِ زَخَارِفُ الْحَيَاةِ وَمُغْرِيَاتُهَا، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ مَوْضِعَهُ الصَّحِيحَ، وَيَسْتَنِيرُ لَهُ دَرْبُهُ الْقَوِيمُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، سَيْرًا عَلَىٰ الْهُدَىٰ وَالْبَصِيرَةِ، وَسُلُوكًا لِلْحَقِّ وَالرَّشَادِ، فِي مَعَالِمَ وَاضِحَةٍ، وَخُطًىٰ ثَابِتَةٍ، وَهَدَفٍ مَرْسُومٍ، يَعْمُرُ مِنْ خِلَالِهَا الْحَيَاةَ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَيُقِيمُ فِيهَا الْمُثُلَ الْعُلْيَا، وَالْمَنَاهِجَ الْفُضْلَىٰ، وِفْقَ فِطْرَةٍ نَقِيَّةٍ، وَضَمِيرٍ طَاهِرٍ، وَإِرَادَةٍ مُوَجِّهَةٍ إِلَىٰ الْإِصْلَاحِ وَالْفَضَائِلِ، وَتَصْمِيمٍ جَازِمٍ فِي الْبُعْدِ عَنِ الْقَبَائِحِ وَالرَّذَائِلِ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: آثَارُ الْإِيمَانِ فِي النُّفُوسِ بَالِغَةٌ، وَثِمَارُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ فِي الْحَيَاةِ عَجِيبَةٌ، فَإِلَىٰ جَانِبِ تَطْهِيرِهَا لِلنُّفُوسِ، وَإِنْمَائِهَا لِمَعَانِي الْخَيْرِ فِيهَا، فَهِيَ ذَخِيرَةٌ حَيَّةٌ لَا تَنْفَدُ بِمَدِّ الْإِنْسَانِ بِالْقُوَّةِ وَالصَّبْرِ، وَالثَّبَاتِ وَالْمُثَابَرَةِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالْأَمَلِ فِي مَعْرَكَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَحْتَدِمُ فِيهَا الصِّرَاعُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ، إِذْ تُعْطِي الْأَمْنَ الْمُطْلَقَ، وَالِاهْتِدَاءَ التَّامَّ، وَالنُّورَ الْكَامِلَ، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَـٰنَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: مَنْ يَحْيَىٰ فِي رِحَابِ الْإِيمَانِ، وَيَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِهِ الْمُشْرِقِ، فَهُوَ يَعِيشُ حَيَاتَهُ فِي رُؤْيَةٍ وَاضِحَةٍ، يُدْرِكُ بِهَا حِكْمَةَ اللهِ الْبَالِغَةِ، وَرَحْمَتَهُ الْوَاسِعَةَ، وَسُنَّتَهُ الْمَاضِيَةَ، وَقُدْرَتَهُ الْبَالِغَةَ، فَتَطْمَئِنُّ بِذَلِكَ نَفْسُهُ، وَتَصْفُو سَرِيرَتُهُ؛ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلَا يَتَسَرَّبُ إِلَىٰ قَلْبِهِ شَكٌّ، وَلَا يَنْفُذُ إِلَىٰ وُجْدَانِهِ الْقَلَقُ، بَلْ يَسِيرُ فِي دُنْيَاهُ بِخُطًىٰ ثَابِتَةٍ، وَمَسِيرَةٍ مَوْزُونَةٍ، تَهْدُفُ إِلَىٰ بُلُوغِ مَا يَصْبُو إِلَيْهِ، مِنْ نِهَايَةٍ صَالِحَةٍ، وَمَصِيرٍ كَرِيمٍ.

الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ يُزَوِّدُ الْعَبْدَ بِطَاقَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْيَقِينِ وَالثِّقَةِ، وَشُحْنَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الصَّبْرِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، تَأْتِيهِ النِّعَمُ فَلَا يَبْطَرُ وَلَا يَسْتَكْبِرُ، بَلْ يَحْمَدُ وَيَشْكُرُ، وَتُصِيبُهُ الْمِحَنُ، وَتَحِلُّ بِهِ الشَّدَائِدُ، فَلَا يَقْنَطُ وَلَا

يَنْهَارُ، أَوْ تُمَزِّقُ قَلْبَهُ الْهُمُومُ وَالْحَسَرَاتُ، بَلْ يَعْتَصِمُ بِالصَّبْرِ، وَيَرْضَىٰ بِالْقَدَرِ، وَيَسْتَمْسِكُ بِعَزَائِمِ الْأُمُورِ. نَعَمْ؛ لِأَنَّهُ يَعِيشُ بِعَقِيدَتِهِ فِي عَطَاءٍ دَائِمٍ، وِفْقَ وُضُوحِ رُؤْيَةٍ، وَقُوَّةِ إِدْرَاكٍ وَإِرَادَةٍ، وَنُفُوذِ بَصِيرَةٍ، يَسْتَمِدُّ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ قُوَّةَ الصُّمُودِ إِزَاءَ الْأَحْدَاثِ وَالْفِتَنِ، فَلَا تَهُزُّهُ أَعَاصِيرُهُ الْعَاتِيَةُ، وَلَا تَنَالُ مِنْهُ مِحَنُهُ الْقَاسِيَةُ، وَلَا يَصْرِفُهُ شَيْءٌ عَنْ إِيمَانِهِ وَتَحْقِيقِ رِضَا رَبِّهِ، مَهْمَا كَانَتْ مِنْ رَغْبَةٍ مُغْرِيَةٍ، أَوْ رَهْبَةٍ مُؤْذِيَةٍ، بَلْ لَا تَزِيدُهُ إِلَّا تَأَلُّقًا وَصَفَاءً، وَإِخْلَاصًا وَصِدْقًا، وَصَبْرًا وَثَبَاتًا، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي تَحْكُمُهَا عَقِيدَةُ التَّوْحِيدِ، وَتَضْبِطُ حَيَاتَهَا حَقَائِقُ الْإِيمَانِ وَمُقَوِّمَاتُهُ، أُمَّةٌ ذَاتُ قُوَّةٍ ذَاتِيَّةٍ، وَحَصَانَةٍ إِيمَانِيَّةٍ، تَجْعَلُهَا قَادِرَةً بِإِذْنِ اللهِ عَلَىٰ التَّغَلُّبِ عَلَىٰ نَتَائِجِ الْمِحَنِ، وَآثَارِ الْأَزَمَاتِ، وَمَوْجَاتِ الْفِتَنِ.

عِبَادَ اللهِ: مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ: الْمَنَاعَةُ الْمُتَحَقِّقَةُ فِي كِيَانِهَا، وَالَّتِي تَحُولُ دُونَ الْمَصَائِبِ أَنْ تُزَعْزِعَ ثِقَتَهَا بِرَبِّهَا، وَالَّتِي تَحْجُزُ دُونَ نَشْرِ ضَبَابِ الْيَأْسِ أَنْ يَدُبَّ فِي نُفُوسِ أَبْنَائِهَا، بَلْ هِيَ أُمَّةٌ لَا تَزِيدُهَا اللَّأْوَاءُ وَالشَّدَائِدُ إِلَّا السَّيْرَ الْحَثِيثَ فِي جُهُودِ الْخَيْرِ، وَالتَّصْمِيمِ الْأَكِيدِ عَلَىٰ الْإِصْلَاحِ وَعِمَارَةِ الْحَيَاةِ، دُونَ سُقُوطٍ أَوْ تَعَثُّرٍ.

وَلَا غَرْوَ، فَهِيَ أُمَّةٌ مَرَّ بِهَا وَيَمُرُّ بِهَا عَبْرَ تَأْرِيخِهَا الطَّوِيلِ أَيَّامٌ عَصِيبَةٌ، وَنَكَبَاتٌ شَتَّىٰ، لَوْ أَصَابَتْ أُمَّةً غَيْرَهَا لَقَضَتْ عَلَيْهَا، وَأَبَادَتْهَا وَجَعَلَتْهَا أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ، لَكِنَّهَا أُمَّةٌ رَبَّاهَا مُحَمَّدٌ ﷺ، مُرْتَبِطَةٌ بِرَبِّهَا، وَاثِقَةٌ بِوَعْدِهِ، مُسْتَيْقِنَةٌ بِنَصْرِهِ، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

يَعْبُدُونَنِيٰ لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْبُعْدَ عَنْ مَنْبَعِ الْإِيمَانِ الْعَذْبِ، وَالْإِخْلَالَ بِحَقَائِقِ الْعَقِيدَةِ، وَإِقْصَاءَهَا عَنْ مَنَاحِي الْحَيَاةِ، وَالِانْصِرَافَ عَنْ نُورِهَا الْوَضِيءِ، كُلُّ ذَلِكَ بَاعِثُ أَزَمَاتٍ خَطِيرَةٍ، وَسَبَبُ مُشْكِلَاتٍ كَبِيرَةٍ، وَمَصْدَرُ شَقَاءٍ دَائِمٍ، وَبَلَاءٍ مُسْتَمِرٍّ، يَجْعَلُ الْعَيْشَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فِي ظَمَأٍ دَائِمٍ، وَظَلَامٍ دَامِسٍ، لَا هُدُوءَ فِيهَا وَلَا هَنَاءَ، وَلَا سَعَادَةَ وَلَا رَخَاءَ، قَلَقٌ مُسْتَقِرٌ، وَاضْطِرَابٌ مُسْتَمِرٌّ، وَغَرَقٌ فِي لُجَجِ الْمَتَاعِبِ، ثُمَّ نِهَايَةٌ بَائِسَةٌ، وَمَصِيرٌ مَرِيرٌ، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيٰ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَىٰ﴾. وَمَا يَعْصِفُ الْيَوْمَ بِالْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ رِيَاحِ الشَّرِّ، وَيُخَيِّمُ عَلَيْهَا مِنْ نُذُرِ الْفَنَاءِ، وَمَا يُهَدِّدُهَا مِنْ أَشْبَاحِ الْحُرُوبِ الْمُدَمِّرَةِ، كُلُّ ذَلِكَ مَصْدَرُهُ الْحَقِيقِيُّ بُعْدٌ كَثِيرٌ مِنْ عَالَمِ الْيَوْمِ عَنِ الْمَنْهَجِ الْإِلَهِيِّ، وَالْعَقِيدَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَمَنْطِقِ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّرَوِّي. وَمَهْمَا بَذَلَ الْبَشَرُ بَعِيدًا عَنْ تِلْكَ الْأُطُرِ، وَبِمَنْأًىٰ عَنْ تِلْكَ الْمَحَاوِرِ، فَلَنْ تُحْسَمَ أَدْوَاؤُهُمْ، وَلَنْ تُحَلَّ مُشْكِلَاتُهُمْ، وَلَنْ يُقْضَىٰ عَلَىٰ أَزَمَاتِهِمْ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: لَوْ قَالَ أَبُو لَهَبٍ لِلَّهِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّهُ مُصَدِّقٌ بِأَنَّهُ سَيَدْخُلُ النَّارَ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ فَسَيَعْفُو اللهُ عَنْهُ. وَايْمُ اللهِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ، فَهَلْ فِي الْآخِرَةِ تَكْلِيفٌ حَتَّىٰ يُسْأَلَ أَبُو لَهَبٍ؟! وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: أَبُو لَهَبٍ هُوَ عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ وَالْأَذِيَّةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَا فِيهِ دِينٌ، وَلَا حَمِيَّةٌ لِلْقَرَابَةِ - قَبَّحَهُ اللهُ - فَذَمَّهُ اللهُ بِهَذَا الذَّمِّ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ خِزْيٌ عَلَيْهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أَيْ: خَسِرَتْ يَدَاهُ، وَشَقِيَ. ﴿وَتَبَّ﴾ فَلَمْ يَرْبَحْ. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ وَأَطْغَاهُ، وَلَا مَا كَسَبَهُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذْ نَزَلَ بِهِ.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أَيْ: سَتُحِيطُ بِهِ النَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.